حوار في العراق .. حول الموقف الراهن في مصر :

العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي (وحتى النظام المصري) يستغل تقصير دول النفط العربية في اداء واجبها تجاه الشعب المصري ، لإخراج مصر من المعركة القومية

بغداد ـ من عدنان بدر :

ما من شك بان الموقف الراهن في مصر يستقطب اهتمام جميع القوى الوطنية والتقدمية على اتساع الساحة العربية .. وذلك لما لهذا الموقف ـ بمسائله المتعددة ـ من انعكاسات مباشرة على جميع قضايا النضال العربي في المرحلة الحالية ، وعلى القضية الفلسطينية بشكل شديد التخصيص .

وعندما نتحدث عن الموقف الراهن في مصر ، فاننا لا نقتصر في ذلك على المواقف السياسية للنظام المصري، بل نعني موضوعا اوسع من ذلك بكثير ، موضوعا يتضمن مواقف النظام بجوانبها المتعددة ، كما يتضمن مواقف الجماهير واوضاعها وتأثير ذلك كله على التعارضات داخل مصر ، وعلى الوضع العربي برمته .

واذا اردنا التحديد اكثر نقول ان الموضوع يشتمل على :

● موقف النظام المصري من التسوية الكلية او الجزئية ، واثر ذلك على الموقف العربي برمته .

● موقف النظام المصري على الصعيد الدولي (الانفتاح على امريكا والدول الراسمالية الاخرى مقابل التعارض مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى) .

● موقف النظام المصري على الصعيد العربي (الارتهان للمحور الرجعي في المنطقة ، في وجه القوى الوطنية والتقدمية الثورية) .

● موقف النظام المصري على الصعيد الداخلي (الانحدار اكثر واكثر في احضان الرجعية الداخلية الجديدة منها والتقليدية ، على حساب الحركة الوطنية والطبقات الكادحة داخل مصر) .

● وكذلك يشتمل الموضوع على موقف أو مواقف الجماهير المصرية من جميع هذه المواقف الرسمية .. بالاضافة الى الوضع المعاشي المتردي للاكثرية الساحقة من الشعب المصري ، والحالة النضالية لدى تلك الاكثرية (كما تجلت في انتفاضات مطلع العام الحالي العمالية والطلابية) والاوضاع الذاتية للتنظيمات اليسارية والثورية ونشاطاتها في صفوف تلك الجماهير .

كل هذه الجوانب التي يتضمنها تعبير « الموقف الراهن في مصر » ، لها انعكاساتها المباشرة والشديدة الخطورة او الاهمية على القضايا والمعارك الرئيسية للنضال العربي .

وليس من شك في ان المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، وهو يسعى بكل ما لديه من جهد ، الى جر النظام المصري للسقوط في شراكه ، ينطلق في ذلك من وعي دقيق لما تمثله مصر من ثقل اساسي ورئيسي في معركة التحرر العربي .

ولم يخف اصحاب المخطط قناعتهم هذه ، بل عبروا عنها بالقول والفعل اكثر من مرة . والامثلة على ذلك كثيرة ، من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين القائلة مرارا وتكرارا ان مصر هي مفتاح الحرب او مفتاح السلم في المنطقة ، الى نشاطات كيسنجر المبنية كلها على اساس هذه القناعة :

ـ فعندما توصل كيسنجر مبعوث الامبريالية الامريكية ، الى تحقيق وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، كان يعرف ان النجاح في ذلك هو نجاح في تحقيق وقف اطلاق نار عربي شامل (على الاقل بالنسبة للجيوش العربية النظامية) .

ـ وعندما توصل الى « فك الارتباط » على الجبهة المصرية ، كان الامر كذلك .

ـ وعندما جرى التمديد لقوات الطوارىء على الجبهة المصرية ، تكرر الشيء ذاته .

ـ والان عندما يتركز المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي على السعي الى تحقيق خطوة جديدة على الجبهة المصرية يكون مضمونها الحقيقي اخراج مصر من المعركة ، يكون الهدف الاساسي لذلك المخطط هو هدر المعركة العربية كلها هدرا كليا .

وليست خطورة هذا الموضوع ، في انجرار النظام المصري الحالي الى مثل هذا المخطط، بل في استغلال ذلك النظام لوضع الجماهير المصرية الكادحة وتضحياتها الكبيرة وظروفها المعاشية المتردية ، من اجل تضليل تلك الجماهير واحباط مقاومتها لمثل ذلك المخطط التصفوي الشديد الخطورة على مصر وعلى فلسطين وعلى الامة العربية كلها .

وقد عبر الرئيس السادات عن مثل هذا التوجه في احد احاديثه الصحفية الاخيرة حين رد حالة المعاناة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية [illegible] جماهير مصر ، المعبر عنها في انتفاضات اول العام الى سببين : هما المعركة وما قدمه الشعب [illegible] من تضحيات بشرية ومادية فيها ، والى [illegible] المساعدات المالية العربية لمصر .

والمقصود بمثل هذا التبرير المستند ـ مع الاسف الى كمية كبيرة من الحقيقة ، هو تكفير الجماهير المصرية بالمعركة وبالعرب ، وتوفير ايديولوجية اقتصادية وسياسية لدعم سياسة التسوية الاستسلامية والانفتاح على الامبريالية الامريكية وملحقاتها الرجعية في المنطقة . في ظل الوضع السرابي بما سوف تدره هذه السياسة على [illegible] من رخاء وبحبوحة تثيران الحماس بالمقارنة الوضع المعاشي المتردي للجماهير المصرية حاليا .

وتتضاعف خطورة هذا الاتجاه الايديولوجي الاقتصادي والسياسي ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما يسخر لترويجه من اجهزة اعلام رسمية [illegible] رسمية لها اكبر وزن اعلامي يمكن تصوره في الشرق كلها .

●●●

هذه القضية ـ قضية الموقف الراهن في مصر بمسائله المتعددة ـ وانعكاساتها على قضايا النضال العربي ، وما تستقطبه من اهتمام جميع القوى الوطنية والتقدمية العربية ، كانت موضوعا [illegible] من حوار مع عدد من المسؤولين في العراق [illegible] صعيد الدولة وعلى صعيد الحزب .

واذا كانت هذه الحوارات لم تتخذ شكل الاحاديث الصحفية لتنقلها على السنة اصحابها ، فاننا نجد من الضروري والمفيد ان نضعها بين ايدي القراء كملاحظات وخلاصات واستنتاجات :

●●●

● الملاحظة الاولى : هي اننا وجدنا على الصعيد الحزبي والحكومي في بغداد ، اهتماما بموضوع « الموقف الراهن في مصر » كما حددناه ، اكبر بكثير مما كنا نتصور ، واكبر بكثير من الانطباع الذي يعكسه الاعلام العربي وحتى الاعلام العراقي نفسه ولا نغالي كثيرا اذا قلنا ان هذا الموضوع يشغل هاجسا ، او ما يقرب من الهاجس ، لدى قيادة الثورة والحزب في العراق .. وقد اتيح لنا ـ نطلع ـ بالمصادفة ـ على معلومات شديدة الخصوصية في هذا الشأن لا نملك حق نشرها الا انها لو كنا ما ذهبنا اليه في تقديرنا لمدى اهتمام القيادة في العراق بالنسبة لموضوع مصر .

● الملاحظة الثانية : هي ان هذا الاهتمام ، ليس اهتماما سلبيا يظل محصورا في حيز متابعة التطورات والاوضاع داخل القطر المصري الشقيق ، بل هو اهتمام ايجابي يجري ترجمته في سعي دائم ودؤوب للقيام بالدور الممكن ، وبالدور الواجب للتأثير في تلك الاوضاع والتطورات .

وهنا لا بد لنا من العودة الى الحوار مع احد المسؤولين ذلك الحوار الذي يمكن تلخيصه بما يلي :

١ ـ يقر السيد المسؤول بان ما انطلق منه الرئيس السادات في حديثه المشار اليه اعلاه ، يستند الى حجم كبير من الصحة . فليس هناك شك مطلقا بان الشعب المصري قدم اكبر التضحيات في المعركة العربية عامة والفلسطينية خاصة . وكان له الوزن الاساسي في معركة التحرير العربية وفي التصدي للغزوة الاستعمارية الصهيونية .

٢ ـ كما يؤكد بالمقابل انه ليس هناك شك مطلقا ، في ان اصحاب « المال العربي » مقصرون تقصيرا يبلغ حجم الجريمة ـ ان لم يكن الجريمة بعينها ـ في القيام بما عليهم من واجب تجاه شعب مصر العربي المكافح . وليس من المعقول اطلاقا ان تصاب الانظمة في الدول النفطية العربية بالتخمة المالية ، في الوقت الذي تعاني فيه جماهير مصر العربية ، من مجاعة حقيقية ، اخطر ما فيها انه يجري استغلالها سياسيا من اجل حذف دور تلك الجماهير ووزنها الاساسي والرئيسي في معركة العرب المصيرية.

هنا كان لا بد لنا من ان نتدخل في الحوار بجملة من الاسئلة :

ـ ما دور المساعدات العربية التي يوحي الاعلام وكأنها تتدفق كالسيل على مصر ، من مختلف الانظمة العربية الغنية ؟

ـ ماذا ادى العراق من واجب ازاء هذا الموضوع ؟ وماذا يؤدي الان ؟ وماذا عن الغد ؟

ـ ماذا عن دور النظام المصري نفسه في التردي المريع للوضع المعاشي لدى الاكثرية الساحقة من الشعب المصري ؟

● لنبدأ من السؤال الاخير : اذا كنا نقر بحقيقة التضحيات الهائلة التي قدمها الشعب المصري في المعركة القومية على توالي مراحلها ، وبحقيقة تقصير الانظمة العربية الغنية تقصيرا ذريعا في مجال اداء واجبها تجاه شعب مصر العربي المكافح . فاننا ـ بنفس الوقت ـ لا نستطيع تجاهل الدور الذي يلعبه النظام المصري الحالي بتركيبه الطبقي وتوجهه السياسي ، في زيادة حدة الازمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة في مصر .

فهذا النظام بتركيبه البرجوازي البيروقراطي ، وتحالفه مع البرجوازية التقليدية ، يشكل عاملا هاما في امتصاص النتائج التي حققتها خطوات التنمية خلال العقدين الماضيين ، وتوظيف تلك النتائج في خدمة الاثراء « المشروع » وغير المشروع للبرجوازية الحاكمة على حساب الحقوق الاساسية للاكثرية الساحقة من الشعب . كما انه ـ وبنفس الشكل ـ يلعب دور الاسفنجة في امتصاص القسم الاكبر من المساعدات الخارجية (العربية والدولية) التي تأتيه ، فلا يصل من ثمراتها ونتائجها الى الجماهير الا الفتات البسيط الذي لا يسمن ولا يغني .

وهذا النظام ، بهذا الدور ، يشكل عاملا اساسيا من عوامل الازمة الخانقة في مصر . وهذا العامل الاساسي يضاف الى جملة العوامل الاخرى التي منها :

ـ شحة المساعدات العربية ،

ـ والكثافة السكانية في مصر .

● بالنسبة لشحة المساعدات العربية : ان ما قدمته دول النفط العربية لمصر من مساعدات ، هو اقل بكثير مما يوحي به الاعلام العربي والاعلام الرسمي المصري . وخاصة تلك الانظمة الرجعية التي يسير النظام المصري في ركابها ويرهن ارادته وسياسته لمشيئتها .

فالمليارات التي يتحدث عنها الاعلام العربي ، لم تكن على صعيد الحقائق سوى بضعة مئات من الملايين جرى الاعلان عنها كلها في حينها .

هذا من ناحية حجم هذه المساعدات ، اما من ناحية طبيعتها فهي مجرد مساعدات نقدية مباشرة للنظام ، يذهب القسم الاكبر منها الى جيوب البرجوازية البيروقراطية الحاكمة ... يضاف اليها بعض المشاريع المركزة في قطاعات العمران والسياحة والخدمات ، التي تؤمن ارباحا للبرجوازية المصرية ، دون ان تؤدي الى اية فائدة للاكثرية الساحقة من الجماهير .

وهذا النوع من المساعدات ، هو النوع الذي يلقى قبولا وتهافتا من قبل النظام المصري البرجوازي وذلك لانه يحقق للطبقة مصالح مباشرة .

اما المساعدات الانمائية الجدية التي تؤدي الى تغيير الوضع المعاشي للجماهير ، فلا النظام يرحب بها كما يرحب بالمساعدات الاخرى ، ولا الانظمة الرجعية والدول الامبريالية تجد مصلحة في تقديمها .

ـ ماذا عن موقف العراق من هذا الموضوع ، ودوره في هذا المجال ؟

ـ للاجابة عن هذا السؤال ، لا بد من تحديد المنطلقات الاساسية لحزب البعث العربي الاشتراكي وللحكم في العراق في الموقف من مصر :

١ ـ المنطلق الاساسي : هو المنطلق القومي الذي يحدد وحدة الشعب العربي وبالتالي وحدة الواجبات والمسؤوليات والحقوق .. ومن هنا فان نظرة الحزب والحكم في العراق للشعب العربي في مصر هي كنظرتهما للشعب العربي في العراق او في اي قطر عربي آخر . وبناء على هذه النظرة يشكل موضوع القيام بالواجب المادي تجاه جماهير مصر هما اساسيا من هموم القيادة في العراق .. والبحث عن كيفية تادية هذا الواجب بالشكل اللازم والمجدي هو من اكثر بحوث تلك القيادة جدية .

٢ ـ يضاف الى هذه الاهمية ، ما تعيه القيادة في العراق ، من خطورة الاستغلال السياسي الذي تقوم به الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وحتى بعض الدوائر الحاكمة في مصر ، لوضع الجماهير المصرية المتردي ، من أجل تنفيذ مخططاتها المعادية للامة العربية ، وبالذات من اجل اخراج مصر من المعركة العربية المصيرية كمدخل لتدمير اي موقف عربي جدي في تلك المعركة .

هذان المنطلقان يحددان مبدأ الموقف العراقي من قضية المساعدات لمصر .. يضاف اليهما عامل آخر يلعب دورا في مسألة كيفية تقديم تلك المساعدات .

ان المساعدات العراقية لمصر يجب ان تصل الى الجماهير المصرية ، وهذا مع الاسف ، في ظل النظام الحالي بتركيبه الطبقي وتوجهاته السياسية، لا يتأمن بصوره سليمة من خلال المساعدات النقدية .. ومن هنا كان توجه العراق لتقديم مساعداته لمصر عن طريق المشاريع الانمائية والصناعية المشتركة التي بلغت حوالي المليار دولار .. وسالطبع ان بعض الاوساط البرجوازية البيروقراطية الحاكمة في مصر، لا ترحب بهذا النوع من المساعدات قدر ترحيبها بمساعدات نقدية وان كانت اقل حجما .. وذلك لانها تحصل لنفسها على حصة اكبر من تلك المساعدات النقدية .

ومن هنا نرى كيف ينعكس موقف هذه الدوائر الحاكمة تجاه هذين النوعين من المساعدات على الصعيد الاعلامي .. ففي الوقت الذي يعبر فيه الاتفاق العراقي المصري كخبر عادي جدا في اجهزة الاعلام المصرية وغير المصرية ، نرى ان قرضا او هبة !! بحجم اصغر من ذلك بكثير ، تعرض في نفس اجهزة الاعلام بـ « هيصة » تقوم لها الدنيا ولا تقعد .

ومع ذلك يقر المسؤول العراقي الذي نحاوره بانه ما يزال على العراق ان يقدم دعما اكبر لمصر ، وان يكون ذلك الدعم على شكل مساعدات انمائية ومشاريع : الطريقة الوحيدة التي تصل فائدتها للجماهير في ظل النظام المصري الحالي .

لكن القيادة العراقية ـ في الوقت نفسه ـ تعترف ان هذا الدعم لا يعطي نتائجه فورا ، بل على مدى متوسط او طويل .. وانه لا بد من القيام بنوع من الواجب تجاه حدة الازمة الحالية ..

ـ وهنا يأتي قرار مجلس قيادة الثورة بمنح الجنسية العراقية لاي مواطن عربي ، بعد قوانين العمل والاقامة التي كفلت للمواطن العربي نفس الحقوق التي كفلتها للمواطن العراقي في العراق .. هنا يأتي هذا القانون ليفتح ابواب العراق على مصراعيها امام اكبر عدد من العمال والفلاحين والمهنيين المصريين ليأتوا الى العراق ويسهموا في تلك الورشة الانمائية الكبرى ، بكل ما يساهم به هذا المجال من تخفيف جانب الكثافة السكانية المصرية في الازمة المصرية ، وتحقيق مصدر دخل اضافي لعدد واسع من العائلات المصرية وللاقتصاد المصري عامة .

●●●

وبالرغم من كل ذلك ، يقول المسؤول العراقي : اننا ما نزال مقصرين في اداء واجبنا تجاه شعبنا العربي في مصر . وانه ما لم تؤد الانظمة العربية واجبها في هذا المجال وعلى اكمل وجه ممكن ، فان الامبريالية والصهيونية والرجعية وحلفاءها الداخليين سوف يظلون يستغلون هذا التقصير لاركاع مصر وفرض الاستسلام عليها واخراجها من المعركة كخطوة اساسية على طريق سعيهم للاطباق على المنطقة وتركيعها.

●